ISSN: 2090 – 0449 Online
UIF Universal Impact Factor, [0.1101].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.1].

مواقف أطباء مملكة غرناطة
من وباء منتصف القرن الثامن الهجري

د. يـماني رشيد
أستاذ محاضر تاريخ الغرب الإسلامي
قسم التاريخ – جامعة أبو بكر بلقايد
تلمسان – الجمهورية الجزائرية

مُلَخّص

يصادف الباحث المتضلع في عناوين التراث البيئي والطبي الأندلسي ألوانا من التآليف والمصنفات والمجاميع تطرق فيها أصحابها موضوعات علمية وشرعية متنوعة، وأن كانت متباينة من حيث القيمة العلمية إلا أنها تتماثل في الدلالة على الوعي العميق لعلماء وأطباء الأندلس بالمسؤولية الواقعة على عاتقهم. أطنبت المصادر والدراسات في الإحاطة بطاعون منتصف القرن (الثامن الهجري/ منتصف الرابع عشر ميلادي) في الحوض المتوسطي عمومًا، والقطر الأندلسي على وجه الخصوص حيث أنها اختصت بإبراز مظاهر انتشار الوباء وحجم تداعياته بالوقوف على المخلفات والخسائر البشرية. ولكن في المقابل وُجدت مصادر معاصرة للحدث أغلبيتها رسائل ومقالات ومؤلفات بين أصحابها علميا الملامح العامة للظاهرة وانعكاساتها وسبل الوقاية والنجاة من الوباء. يتطلب الإحاطة بالجائحة الطبيعية التركيز على رصد بيوغرافي للعلماء من خلال كتب التراجم والفهارس والبرامج، ومن ثم إحصاء أهم أعلام المملكة الغرناطية الذين تأثروا بشكل أو بآخر من هذا الوباء، كما يتطلب تعقب أهم مواقف العلماء الأطباء من هذه الظاهرة الاعتماد والبحث والتنقيب في أبرز المؤلفات الطبية التي عالجت التراث البيئي وما يعترضه من مخاطر طبيعية سواء كانت علمية محضة أو تحسيسية يغلب عليها طابع الشرع الديني.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٠٥ فبراير ٢٠١٨
تاريخ قبول النشر: ٢٢ مايو ٢٠١٨

كلمات مفتاحية:

الطاعون، غرناطة، النخب العلمية، التأليف، الطب

معرّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.12816/0054913

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

يماني رشيد. "مواقف أطباء مملكة غرناطة من وباء منتصف القرن الثامن الهجري".- دورية كان التاريخية.- السنة الثانية عشرة- العدد الثالث والأربعون؛ مارس ٢٠١٩. ص ١١٤ – ١٢٤.

مُقدِّمَةُ

إن الكتابات التاريخية حول التاريخ الاجتماعي في شقيه الديموغرافي والصحي لبلاد الأندلس لا يزال بكرا، وأن معظم الدراسات انصبت حول الاهتمام بالواقع السياسي والعسكري وحتى الحضاري بجوانبه الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والفنية، إلا أن الكتابة حول التاريخ الاجتماعي وخاصة تاريخ الأوبئة بالأندلس عمومًا، ومملكة غرناطة على وجه الخصوص ينطلق من استنطاق كتب التراجم والمناقب والرحلات لمعرفة كل الخبايا واستكمال ما هو ناقص، إضافة عبر الإحاطة بالمصادر المخطوطة والمطبوعة المعاصرة للوباء. انطلاقًا من هذه الملاحظات المصدرية آثرنا أن نبحث في جوانب عديدة من خبايا الواقع الاجتماعي والديموغرافي والصحي وحتى الفكري للأندلس في منتصف القرن الثامن الهجري الذي صادف اجتياح الوباء على هذا الصقع، والبحث في الإنتاج الفكري الغرناطي حول هذا الوباء، كما سنحاول تناول ردود فعل الأعلام الأطباء من الأحداث الطبيعية التي أعاقت الحضارة الأندلسية كظاهرة الأوبئة والجوائح خلال حكم بني نصر، وتأثيراته على الحياة الفكرية الغرناطية.

دراسات

١- الإطار العام لمملكة غرناطة في ظل اجتياح الوباء

بدأت ملامح العصر الذهبي لمملكة غرناطة آخر الأقطار الإسلامية في الأندلس منذ تولية أبو الحجاج يوسف الأول[١] السلطة في دولة بني نصر[٢] في شتى المجالات السياسية[٣] والاقتصادية[٤] والفكرية[٥]. لكن في المقابل عرفت السلطنة النصرية اجتياح الطاعون المميت إلى حواضرها كغرناطة ومالقة والمرية وثغور أخرى كوادي آش ورندة وبلش، أو ما يُعرف بالوباء الكبير الذي اجتاح المنطقة في (٧٤٩هـ/١٣٤٨م) حتى سنة (٧٥٠هـ/١٣٤٩م). يُعَدّ الوباء[٦] كل مرض عام يحدث بصورة سريعة، ويصيب أعدادًا هائلة من السكان في قطر ما من جميع الأعمار والأجناس، بينما الطاعون هو مرض وبائي سريع الانتشار مسببا الموت الجماعي[٧]. ويُعد وباء الطاعون من أشد الجوائح الطبيعية، ولعل أهم ما تميز به أنه يأتي دوريا حيث يتكرر حدوثه خلال عقد أو أكثر[٨].

اهتمت العديد من المصادر الرئيسة المعاصرة لوباء منتصف القرن الثامن الهجري(٧٤٩هـ-٧٥٠هـ) الموافق لمنتصف القرن الرابع عشر ميلادي (١٣٤٨ - ١٣٤٩ م) بالوقوف على جوانب هذه الظاهرة وقد اعتمدنا عليها في هذه الدراسة مثل التحصيل لابن خاتمة[٩]، والمقنعة لابن الخطيب[١٠]، والنصيحة للشقوري[١١] إضافة إلى الدراسات المتخصصة العربية[١٢] والأجنبية[١٣]. تمت تسمية الوباء بتسميات عديدة مثل: الطاعون الجارف[١٤]، والطاعون الأعظم[١٥]، والطاعون العام [١٦]والموت الأسود [١٧]، والطاعون الأسود [١٨] أو الفصل الكبير [١٩]وسنة الفناء[٢٠]، والموتان.[٢١]

٢- مظاهر انتشار الوباء في مملكة غرناطة وتداعياته

ماجت المصادر المعاصرة لهذا الحدث بالتعريف بهذا الوباء وذكر انتشاره وآثاره المختلفة، فتتفق كلها على أن ظهوره كان بأواسط بآسيا أو يما يعرف ببلاد الخطا[٢٢]، ثم انتقل ليكتسح البحر المتوسط فاجتاح جزيرة صقلية منذ (747هـ/ ١٣٤٧م) فإيطاليا، والمغرب الإسلامي وشبه الجزيرة الأيبيرية وفرنسا ابتداء من (٧٤٨هـ / ١٣٤٨م).[٢٣] جاء في قول ابن خلدون الذي عايش الوباء وفقد والده عند حلوله في افريقية: "هذا إلى ما نزل بالعمران شرقًا وغربًا في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيف الأمم"[٢٤]، وبيّن ابن ثغري بردي عالمية هذا الوباء بقوله: "عم أقاليم الأرض شرقًا وغربًا، وشمالاً وجنوبًا، جميع أجناس بني آدم وغيرهم، حتى حيتان البحر، وطير السماء، ووحش البر"[٢٥]، وقال فيه السخاوي: "ولم يُعهد نظيره فيما مضى، فإنه طبق شرق الأرض وغربها، ووصل حتى مكة المشرفة، وما سلم منه سوى طيبة"[٢٦].

من أهم أسباب انتشار هذا الوباء الحروب والتجارة والرحلات والهجرة التي تعد قنوات التواصل، ولعل حركة التجارة العالمية وخاصةً عن طريق السفن التجارية الجنوية[٢٧]، كانت هي أكثر العوامل بروزا، حتى كانت المرية من أكثر المدن الأندلسية ضررا من جراء هذا[٢٨]؛ وقد كانت بدايتُه بها في فاتح جوان ١٣٤٨م ما يقابل أوائل ربيع الأول من سنة ٧٤٩هـ حيث فتك بأعداد كثيرة خاصة في الأحياء الفقيرة حتى وصل عددهم إلى سبعين ضحية يوميًا[٢٩]. كما يصف لنا القاضي النباهي في كتابه المرقبة العُليا جسامة هذا الوباء عند حديثه عن جنازة أحد أعلام مالقة وهو ابن برطال أبو جعفر أحمد بن علي الأموي أن الوباء قد جرّ معه" ركب من الأموات يزيد عن الألف "من كل الفئات والأجناس إلى مقابر المدينة.[٣٠]

وتبرز المصادر ذلك على أنها لم تصب كل الأندلس الإسلامية كأحواز غرناطة ومدينة مالقة مثلاً، وقد بيّن ابن ثغري بردي بدقة كيف انتشر هذا الوباء حتى وصل إلى الأندلس وبلاد المغرب الإسلامي بقوله: "...وعم الموت أهل جزيرة الأندلس، إلا مدينة غرناطة، فإنهم نجوا... وعم الموتان إفريقية بأسرها، جبالها وصحاريها ومدنها..."[٣١]. لكن على عكس ما نلاحظه من هذه القراءة للدراسات الأجنبية والعربية فإننا نلاحظ أن حتى أعيان وأعلام هذه المدن التي سلمت من الوباء كان لها ضحايا كثر، وجاءت على قلم عدد من المصادر التاريخية وكتب الرحلات ولعل أشهرها الرحالة الطنجي ابن بطوطة الذي عاصر الوباء وزار عدد من المدن التي انتشر بها هذا المرض وقد فقد فيه والدته بل كانت عودته من رحلته الأولى متزامنة معه.[٣٢]

إن جسامة هذا الوباء في الأندلس كان لها تأثيرًا واضحًا ليس على الأحوال الاقتصادية والسياسية، والخسائر البشرية فحسب بل على الإنتاج الفكري، حيث تعج كتب التراجم المختلفة بالعلماء ضحايا الوباء والتي من ورائها كفت أيديهم عن الإبداع العلمي؛ ولعل ما استقيناه من تراجم النباهي في وفاة ابن برطال أنه عند دفنه دفن إلى جانبه وفي نفس اليوم عدد آخر من أعلام مدينته مالقة ولعل أهمهم المقرئ الزاهد

أبو عبد الله أحمد المعروف بالقطان، والواعظ أبو القاسم بن يحيى بن درهم.[٣٣]

برزت الأزمات الاقتصادية والآفات الاجتماعية، وتدهورت الأوضاع بتدني المستوى المعيشي والحرفي ونقص التعاملات التجارية نتيجة التخوف من انتشار العدوى[٣٤]، كما اضطربت الأحوال الأمنية في المملكة النصرية بانتشار الثورات الداخلية والفتن، وتزايد وتيرة الاسترداد النصراني، كما أضحت بعض الثغور الساحلية موطنا لإيواء قراصنة البحر[٣٥]. قد لا يصدق القارئ لضحايا الوباء في المصادر المعاصرة له سواء في بلاد المشرق[٣٦] أو أوربا[٣٧] وحتى بلاد المغرب الإسلامي بما فيها الأندلس [٣٨]حيث تشير إلى أعداد هائلة من عامة الشعب[٣٩] مما قد يعطينا نظرة عن عدد العلماء الشهداء من جراء هذا الوباء، ولعلنا نقف أمام أهم دراسة عدت لنا العلماء المتوفون من جراء هذا الوباء والتي قدمتها الأستاذة الأسبانية ماريا إيزابيل كاليرو سيكال[٤٠].

يمدنا ابن الخطيب بوصف عن ميتة ابن فرتون الأنصاري وسنة وفاته بل وحدد لنا التاريخ الكامل في ذلك بقوله: "نفث دم الطاعون، صلى الجمعة ظهرًا وقد لزم الفراش ومات مستقبل القبلة على أتم وجوه التأهب، سابع شوال من عام سبعمائة وخمسين "[٤١]. إن مثل هذه الإشارات التي استقيناها من كتب التراجم تدل عل أن هذا الوباء قد طال أمده ببلاد الأندلس ودام قرابة السنتين (٧٤٩ هـ -٧٥٠ هـ)، ولعل أن العالم الطبيب التاجر ابن عبد البر أحمد بن علي بن عبد البر الخولاني[٤٢] وهو من أبناء غرناطة قد توفي بالطاعون من جراء عدوى تكون قد أصابته نتيجة احترافه للطب حيث قعد يداوي المرضى، أو نتيجة احتكاكه بالتجار بحكم أشغاله الإضافية في مجال التجارة خاصة وأنه توفي خارج الديار الأندلسية بتونس.

يبدو أن هذا الوباء قد زار أغلب البيوتات الكبرى الأندلسية ومنها بيت بني الحكيم اللخمي وعلى رأسهم أبو القاسم محمد بن محمد بن محمد بن الحكيم اللخمي[٤٣] الذي كان موسوعيًا بنبوغه في علوم عديدة وتوفي في وقيعة الطاعون حين كان قاضيًا سنة ٧٥٠هـ. كما أهلك محمد بن عبد الله بن منظور القيسي وأصل بيته من اشبيلية، وانتقلوا إلى مالقة أين أضحى بقصبتها قاضيًا وخطيبًا، وهو من ألف كتاب "البرهان والدليل في خواص سور التنزيل"، ولم يسلم صاحب التآليف العديدة العالم المصنف سعد بن أحمد بن ليون التجيبي المكنى بأبي عثمان من هذا الوباء، وقد كان من أجل علماء الأندلس وأبرعهم تأليفا، وله نحو ثلاثين تأليفا في الحديث والفرائض والمساحة[٤٤].

لم يكن علماء المرية أو غرناطة الوحيدين الذين مسهم الوباء الجارف سنتي (٧٤٩-٧٥٠هـ). بل مست حتى الثغور والحواضر الغرناطية المتبقية كمالقة والجزيرة الخضراء ورندة بحكم أن العلماء المتوفون في الوقيعة كانت متباينة أصولهم. وفي المقابل لم يسلم العلماء الوافدون من العدوة المغربية على الحواضر الأندلسية من ذلك حيث كانت لهم نهاية بهذا الصقع؛ فقد انتهت إيام الفلكي والطبيب أبي زكرياء يحي بن علي بن أحمد بن علي القيسي- سنة ٧٥٠هـ- ببلاد الأندلس[٤٥]، ولقي الأستاذ الخطيب محمد بن عيسى بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي ابن أبي بكر بن خميس الأنصاري حتفه في وقيعة الطاعون بالجزيرة الخضراء كذلك سنة ٧٥٠هـ[٤٦]. والأمر نفسه ينطبق على الوافد الشاعر القاضي أبي عبد الله بن خميس التلمساني الذي توفي بالطاعون العام بالمرية في سنة ٧٥٠هـ[٤٧]- وفي مقابل ذلك وجد من الأندلسيين الراحلين الذين توفوا خارج ديارهم شأن محمد بن عبد الله بن لب المُري النحوي المتوفى في رمضان من سنة ٧٤٩هـ ويُكنى ابن الصائغ، ارتحل إلى المشرق في حدود ٧٢٠ هـ فلم يتجاوز القاهرة، وبمدرستها الصالحية أقرأ العربية والنحو[٤٨].

وبالتالي فإن هذا الوباء قد جعل حدا لعدد من العلماء الأجلاء بالثغر الأندلسي ومن الوافدين إليه، بل وحدّ من الإنتاج الفكري المتنوع للعديد منهم. وكان قضاء الله في وفاة الرحالة الأديب والقاضي أبي البركات البلفيقي محمد ابن الحاج بعدما مرّ الطاعون حيث سلم منه وكانت له مواقف آنذاك من هذا الوباء الفتاك. وقد كانت له رحلتين خارج الأندلس آب بعدهما قافلا إلى بلده للتعليم والقضاء رجع واستقر ببلده ألمرية في وقت عصيب اشتد فيه الوباء الفتاك سنة ٧٤٩هـ حتى جاء في قوله: "وبقيت مقيمًا بها لما اشتهر من وقوع الوباء بألمرية ثم أعدت إلى القضاء والخطابة بألمرية وكتب بذلك في أوايل رجب عام تسعة وأربعين ثم صرف عنها ثم عاد سنة ست وخمسين"[٤٩].

والأمر نفسه انطبق على العالم أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الهاشمي الطنجالي[٥٠] ذوي الأصالة والجلالة من أهله الذي توفى بعده سنة

٧٥٣هـ وقد صادفه في ذلك الوباء العام الذي أصاب المنطقة في منتصف القرن الثامن الهجري وتمنع منه، إلا أنه كان من الأسباب المؤثرة في استقالة القاضي أبي عبد الله وطلب استعفاءه من الحكم، "خاصة بعد ترادف النوازل المشتبهات عليه بعد انصراف الطاعون، واختلاف من عاش بعده من الفقهاء، عند الأخذ معهم فيما يشكل عليه من المسائل وكان يكره مخالفة من جملتهم، ويحذر موافقة بعضهم"[٥١]؛ إلا أن قريبه أبا جعفر أحمد بن عبد الله بن عبد المنعم الهاشمي الطنجالي لم يسلم منه سنة ٧٥٠ه رغم مهارته في الطب[٥٢].

لا نريد تحميل هذا البحث بجملة العلماء المتوفين من جراء الوباء الذين استقيناهم من كتب التراجم فعملنا على تلخيصهم في الجدول التالي:

جدول يوضح علماء الأندلس المتوفين جراء الطاعون سنتي ٧٤٩ه- ٧٥٠هـ

العالم	المنطقة	العبارة الدالة على وفاته في وقيعة الطاعون	المهام/ العلوم	المصدر
أبو زكرياء يحي بن علي بن أحمد بن علي القيسي ابن الزرقالة	ألمرية	توفي بالطاعون بالمرية يوم الثلاثاء ٣ محرم ٧٥٠هـ.	الفلك والطب.	ابن القاضي، درة، ج٣، ص ٣٣٠، تر:١٤٤٦.
أبو القاسم محمد بن محمد بن محمد بن الحكيم اللخمي	رندة	أعبط في وقيعة الطاعون...فكانت فيه الفجيعة عظيمة ١٧ ربيع الثاني ٧٥٠هـ	الوزارة - العلوم النقلية والعقلية.	ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص٢٦٦.
سعد بن أحمد بن ليون التجيبي.	المرية – لورقة	توفي بالمرية بالطاعون العام إثر صلاة العصر. السبت ١٤ جمادى الثانية ٧٥٠هـ	التأليف - الحديث والفرائض والمساحة.	التمبكتي، نيل، ج١، ص ٢٠١– ابن القاضي، درة، ج٣،ص ٢٩٢.
محمد بن عبد الله ابن فرتون الأنصاري	مالقة - بطليوس	نفث دم الطاعون. ٧ شوال ٧٥٠هـ.	الأشغال السلطانية –الرواية- الرحلة.	ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص٢٢٧.
أحمد بن عبد الله بن عبد المنعم الهاشمي الطنجالي أبو جعفر.	لوشة	نجمت به **بواكي** الوباء الأكبر صدر عام ٧٥٠هـ بعد تمنع منه وإبانة.	صناعة الطب - الشعر - القضاء	النباهي، المرقبة، ص١٥٥-ابن حجر، الدرر، ج١، ص ١٨٣، تر: ٤٧٣ - Miguel Jiménez P ,op cit,p165.
أحمد بن محمد بن علي الأموي أبو جعفر ابن برطال	حارة البحر شرقي مالقة	توفي بها (مالقة) أيام الطاعون الكبير. الجمعة 0 صفر ٧٥٠هـ.	القضاء والخطابة، الحديث-التوثيق.	المقري، نفح، ج٣، ص٤٤٩ – ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ١٧١ – النباهي، المرقبة، ص١٤٨.
عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأزدي ابن المُرابع	بلّش	وفاته في كاينة الطاعون ببلده. أواخر ٧٥٠هـ	النظم والنثر - الأدب والمقامات	ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص٤٢١-المقري، نفح، ج٦، ص ١٠٢-، ص ٢٥٥- العبادي، مقامة العيد، صحيفة الدراسات

				الأندلسية، مدريد، مج ٢،ع١-٢، ١٩٥٤ص١٥٩.
علي بن محمد بن علي البنا الوادي آشي أبو الحسن	وادي آش	توفي معتبطا في الطاعون ولم يبلغ الثلاثين. ٤ شعبان ٧٥٠هـ.	ديوان الإنشاء - نظم وأدب وشعر.	ابن الخطيب، الإحاطة، ج٤، ص ١٦٧ - المقري، نفح،ج٦،ص ١٢٨.
علي بن يحيى الفازري المالقي ابن البربري	مالقة	وفاته بمالقة بالطاعون عام ٧٥٠هـ.	الخط، الشعر.	المقري، نفح، ج٦، ص١٣٣ – ابن الخطيب، الإحاطة، ج٤، ص ١٩٤.
محمد بن أبي الجيش محارب الصريحي أبو عبد الله	مالقة، حصن يسر، مرسية	توفي بمالقة في كاينة الطاعون الأعظم، في أخريات ربيع الآخر ٧٥٠هـ بعد أن تصدق بمال كثير...	الفقه والأصول، - الرياضيات –الخطابة –الإقراء-العلوم العقلية .	ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص٧٨- ابن حجر، الدرر،ج٣، ص٣٧٤ .
محمد بن أحمد بن جعفر بن عبد الحق بن حقاف السلمي القونجي.	قونجة	وفاته في الوباء العام. الإثنين ٢٠ شعبان ٧٥٠هـ.	التصوف - التأليف" الأنوار في المخاطبة والأسرار ".	ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص٢٣٤.
محمد بن أحمد بن قاسم الأمي القطان أبو عبد الله	مالقة – جبل فاره	توفي شهيد الطاعون. الأربعاء ٤ صفر ٧٥٠هـ... ودهم الوباء، فبذلوا من الأموال في أبواب البر والصدقة، ما لا يأخذه الحصر ولا يدركه الإحصاء	الزهد والورع- المجالس العلمية – الفقه– علم الكلام.	ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص٢٤١.
محمد بن علي السكوني الأندلسي ابن لؤلؤة	من أهل حصن قمارش	توفي المذكور بالطاعون سنة ٧٥٠ هـ.	– الخطابة الشعر - الزهد	المقري، نفح، ج٥، ص ٥١٦.
محمد بن علي بن محمد العبدري ابن اليتيم	مالقة	وفاته في وقيعة الطاعون العام. آخر صفر ٧٥٠هـ.	التدريس لمدة ثلاثين سنة غاب فيها مرتين - الحديث والتفسير-الطب.	ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص٩٧– الكتيبة، ص ٥٩.
محمد بن عيسى بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي ابن أبي بكر بن خميس الأنصاري.	الجزيرة الخضراء	توفي في الطاعون بسبتة. آخر جمادى ٢ سنة ٧٥٠هـ	الفقه – القراءات الخطابة - الإقراء والتعليم - التأليف " النفحة الأرجية في الغزوة المرجية "	ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص١٨٤.

تعقيب على الجدول:

لا يمكننا الإلمام بكل المتوفين من جراء وباء الطاعون من الأعلام ببلاد الأندلس في منتصف القرن الثامن الهجري من خلال هذا الرصد البيوغرافي، واكتفينا بذكر كل النماذج التي اهتدينا إليها؛ لكن البارز في الأمر أن هذا الوباء قد فتك بالعديد سواء أشارت إليه كتب التراجم أو لم تشر إليهم، وسواء كانوا أندلسيين أو مغاربة أو حتى مشارقة.

يبدو أن التنوع جلي ما بين عدد المتوفين من العلماء في المدن الرئيسية كغرناطة ومالقة مقارنة بالثغور الأخرى، وبين الأصليين والوافدين إلى السلطنة النصرية، وبين الكهول منهم والشباب حيث وجد من توفي في مقتبل العمر. إضافة إلى تأثر عدد من الأفراد بالوباء من بيت واحد، كما حصد الوباء من المؤلفين والأطباء وولاة الحكم من العلماء المقربين إلى السلطة عددا لا يُستهان به. في المقابل بقراءة

متأنية لكتاب الإحاطة للوقوف على بقية أعلام الأندلس المتوفين جراء الطاعون لم نهتد إلى الفصل وتحديد سبب الوفاة رغم أن ابن الخطيب أورد تاريخ الوفاة دون أن يحدد سبب الوفاة. إلا أننا نبقى نتساءل عنهم هل تعرضوا للوباء وماتوا من جراءه أم لا؟ وذلك بالرغم من أننا وقفنا على عدة اعتبارات جعلتنا نشك في ذلك أهمها:

- أن ابن الخطيب أورد في فقرات متلاحقة لكل الأعلام المتوفين من جراء وباء الطاعون وقد خصه المحقق محمد عنان في قسمه الثالث من ذلك، ووجدت هذه الأعلام ضمنهم متتالية إلا أننا لم نستطع الجزم نهائيا كون أن المحقق قد يكون أعاد ترتيبها خاصة وأننا لم نطلع على النسخة المخطوطة.
- ثانيا ولعله العامل الرئيس في الترجيح ويتمثل في كون أن تاريخ وفاتهم لم تحدد فقط بالسنة وإنما كاملة، ولعل أغلبهم كانت في شهر شوال ٧٤٩هـ، وهو تاريخ يأتي بعد اجتياح الوباء للمنطقة. فهل هذا يعني أن الوباء لم يمس هؤلاء الأعلام؟ أم أن غرناطة قد تأخر عنها الطاعون الذي ضرب ألمرية في بادئ الأمر في أوائل ربيع الأول من سنة ٧٤٩هـ ثم انتقل إليها لاحقا لكن بعد عيد الفطر من سنة ٧٤٩هـ.

ومقصدنا في ذلك هؤلاء الأعلام:

- ابن الجياب علي بن محمد بن سليمان الأنصاري أبو الحسن صاحب الرواية والعلوم ورئيس الأشغال السلطانية الذي وافته المنية يوم الأربعاء ٢٣ شوال ٧٤٩هـ، حيث لم يورد لنا تلميذه ونائبه في الوزارة ابن الخطيب عن وفاته شيئا متعلقا بالوباء رغم أنه توفي بغرناطة وكانت "جنازته آخذة نهاية الاحتفال، وحضرها السلطان ومن دونه".[٥٣]
- محمد بن إبراهيم بن محمد الأنصاري الصناع أبو عبد الله الزاهد من أهل البادية الغرناطية صاحب الرحلات العلمية الداخلية، ولم تذكر المصادر وفاته في وباء الطاعون واكتفت بذكر وفاته بتاريخ ٧ شوال ٧٤٩هـ، لكن إذا قارناها مع الإطار الزماني للوباء بالأندلس ووفاة بعض العلماء في مثل هذا التاريخ أمكن لنا أن نحكم على سبب وفاته أنها كانت في الطاعون العام، في حين وبكل موضوعية لا يمكن لأصحاب التراجم المتمرسين في هذا اللون الذي اشتهرت به الأندلس أن يتناسوا حدثا هاما كهذا وخاصة منهم ابن الخطيب صاحب البرامج والتراجم العديدة والذي عاصر أغلبهم وكان طالبا لأغلبهم[٥٤].
- محمد بن حسنون الحميري أبو عبد الله الإمام الزاهد صاحب الحرف اليدوية، أصله من مرسية وسكن غرناطة، يقول عنه ابن الخطيب أنه كان حيا سنة ٧٥٠هـ، وعلى الأغلب أنه توفي في هذا العام، إلا أننا لا نستطيع الجزم بأن وفاته كانت بسبب الطاعون[٥٥].

٣- مواقف أطباء وعلماء غرناطة من الطاعون الجارف

لن نطنب في الحديث عن تاريخ الطب بالأندلس وأهم ما ألف فيه، وسنكتفي فقط بالوقوف على مدرسة الطب التي اعتمدت ترجمة المؤلفات الطبية الإغريقية واللاتينية[٥٦]، وعوامل اهتمام أهل الأندلس بصناعة الطب حيث تأتي في مقدمتها إيجاد السبل لمواجهة مثل هذه الكوارث. اختصت كتب التراجم والطبقات ومتون ما وصلنا من مصنفات في الطب وعلوم الطبيعة من المعلومات حول الاهتمام الأندلسي بالطب عموما[٥٧]، ومن عناوين المصنفات الطبية المختلفة ما يفصح عن الحجم الحقيقي للتراث الطبي المتمثل في العدد الهائل مما كتب من تقارير الطب النافعة الأرجوزات والرسائل والنواذر والنسخ.[٥٨]

يبدو أن المصادر الأندلسية والمغربية قد أطنبت في ذكر الوباء غرضا لا عرضا، مُشيرة إلى أسبابه المناخية والفلكية والبشرية وحتى السياسية، ذاكرة آثاره وسُبل الوقاية منه؛ وقد أشارت إليه منذ بداياته حتى ألفت فيه أرجوزات ومؤلفات طبية[٥٩]. كما أسهبت في ذكر أسبابه المتعددة والتي أغلبيتها تُرجعها على الظاهرة الفلكية والمناخية، فهذا ذو العمرين ابن الخطيب[٦٠] يردّه إلى التأثير الفلكي فيقول: "له سبب أقصى وهو الأمور الفلكية، وأدنى هو فساد الهواء الخاص بمعل ظهوره "[٦١] وأما شاهد الوباء في المرية ابن خاتمة الأنصاري فألّف في الطاعون وشرح من خلالها انتقال عدوى الوباء وتأثيرها على الإنسان[٦٢].

تعددت المؤلفات في ذكر وباء القرن الثامن الهجري ودور المسلمين في وضع حد لانتشاره بالوقاية والاحتياط منه انطلاقا من الأحاديث النبوية وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم[٦٣]، كما كانت مجابهة الوباء والاحتراز والوقاية منه محل التأليف والتحسيس والتذكير عند الخاصة من العلماء والأطباء للعامة من أهل غرناطة. لقي هذا الطاعون الجارف كما اصطلح عليه في أغلب عبارات النخب العالمة الأندلسية

اهتماما بالتأليف قصد التصدي سواء في شكل رسائل أو مقالات أو حتى مؤلفات.

قبل أن ندرج النخب العالمة الأندلسية ومؤلفاتهم الطبية أمكن لنا أن نقف على موقف العلامة ابن خلدون الذي عاصر هذا الوباء وشخص الأسباب بطرح طرق الوقاية منه بقوله: "ولهذا تبين في موضعه في الحكمة أن تخلل الخلاء والقفر بين العمران ضروري ليكون تموج الهواء يذهب بما يحصل في الهواء من الفساد والعفن بمخالط الحيوانات..."[٦٤].

٣/١-ابن الخطيب لسان الدين:

لن نطنب في التعريف بابن الخطيب هذا العالم الموسوعي، إلا أنه يمكننا أن نقف على أبرز إنتاجه الطبي حيث أن أهم ما ألفه الأندلسيون استأثر به ابن الخطيب حتى جاء في شعره على لسان والده [٦٥]:

الطب والشعر والكتابة سماتنا في بني النجابة

أخذ الطب عن أستاذه ابن هذيل التجيبي (ت. ٧٥٣هـ)[٦٦] ويبدو أن ابن الخطيب الذي أصيب بالأرق لم يتفرغ لممارسة الطب لكثره انشغالاته السياسية والفكرية.[٦٧] تآليفه الطبية عديدة فاقت عشرة مؤلفات[٦٨] أما في تعلق بالوباء فقد ألف "مقنعة السائل عن المرض الهائل " وربما هي التي سماها في الإحاطة "رسالة الطاعون"[٦٩] والذي يصف فيها ظروف ظهور الوباء وانتشاره، وأعراضه الأولى وسبل الاحتياط منه[٧٠]. وردت الرسالة في خمسة أبواب، يصف ابن الخطيب طرق العدوى ومظاهرها بقوله: " يتعلق بالناس تعلق النار بالحلفاء والهشيم، بأدنى ملابسة من إلمام بمريض أو بمباشرة ثوبه وآنيته، وفيما ظهر فيه نفث الدم أشد، وعند قبض النفوس أعظم، وذكر أنه في الأماكن الوبيئة أخف، وفي الضعفاء وأهل الشظف أفتك، وبصنفي النساء والصبيان أمطى."[٧١]

٣/٢-ابن خاتمة الأنصاري:

هو أبو جعفر أحمد بن علي بن محمد بن علي بن خاتمة المري الأنصاري ترجم له ابن الخطيب في الإحاطة والكتيبة وغيرها[٧٢]، وجرت بينهما مراسلات. وهو كبقية نخب عصره المعروفين بالموسوعية العلمية حين جمعوا بين ضروب العلم كالشعر والأدب والتاريخ والفقه والطب؛ ومن تآليفه "رائق التحلية في فائق التورية"، و"مزية المرية على غيرها من البلاد الأندلسية".[٧٣] ألف ابن خاتمة الأنصاري "تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد"، سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م على إثر ظهور الطاعون بمدينته ألمرية حتى قيل أنه شرع في تأليفه نزولا عند رغبة بعض مقربيه؛ حيث جاء في مقدمته: الحمد لله المحمود على المحبوب و المكروه...فإن بعض أصدقائي.. سألوني عن حقيقة هذا الطاعون في المرية...[٧٤]

وضع تعريفًا علميًّا لحقيقة هذا الوباء حيث تعرض فيه إلى مظاهر الوباء وخطورة عدواه وخاصة حين يعرض علاماته، احتوى هذا التأليف على عدة فصول أو مسائل شملت حقيقة الطاعون ومعانيه اللغوية والعلمية الطبية، وأحكامه الطبية والشرعية، وأسباب القريبة والبعيدة ونتائجه، إضافة إلى مشروعية التداوي بالطب والوقاية والاحتياط من عدوى الوباء[٧٥]. ويقول في مظاهر الإصابة بالوباء: "إنَّه حمَّى خبيثة دائمة عن سوء مزاج قلبي بسبب تغيير الهواء عن حالته الطبيعية إلى الحرارة والرطوبة، مهلكة في الغالب..." ويستطرد قوله حول خطورة العدوى: "... وجدتُ بعد طول معاناة أنَّ المرء إذا ما لامس مريضًا أصابه الداء وظهرت عليه علاماته، فإن نزف الأول دمًا نزف الآخر... واعلم أنَّ سببه القريب غالبًا هو تغيير الهواء المحيط بالإنسان الذي فيه تنفسه، وهذا التغيير يكون في الكيف ويكون في الجوهر."[٧٦]

٣/٣-الشقوري محمد بن علي اللخمي

(كان حيا سنة ٧٧١هـ):

هو عبد الله بن محمد اللخمي الشقوري طبيب الدار السلطانية بغرناطة مولده سنة ٧٢٧ هـ[٧٧]، أحرز شهرة واسعة في معالجة المرضى وأغلب مؤلفاته في العلوم الطبية[٧٨]، وفي الوباء على وجه الخصوص أبرزها على الإطلاق "تحقيق النبأ عن أمر الوباء" المعروفة باسم النصيحة والذي تناول في جزئه الأول الهواء، وفي الثاني إصلاح الأبدان والدواء[٧٩]. وبالتالي فإننا أمام لرسالة طبية حول سبل العلاج من الطاعون والاحتياط منه. يُعَدّ هذا التأليف ما اصطلح عليه "النصيحة" أو "تقييد النصيحة" في حقيقة الأمر جزءا من المؤلف الكبير "تحقيق النبأ عن أمر الوباء "؛ حيث يقتصر فيه على النصح الطبي من أجل التدبر والوقاية من الوباء وعلاج المصابين. يقول الشقوري في رسالته: "هذا هو الكلام في هذه النصيحة على ما شرطته وقد بسطت هذا بأوجز منه في تأليفي المسمى تحقيق النبأ عن أمر الوباء."[٨٠]

٣/٤-ابن مشتمل الأسلمي البلياني (ت. ٧٦٤هـ):

أبو عبد الله محمد بن محمد بن جعفر بن مشتمل الأسلمي البلياني من أهل المرية، هو الآخر من علماء الأندلس الموسوعيين حيث نبغ في فنون العلم،

دراسات

وتولى القضاء في عدة حواضر وقرى أندلسية، غلب عليه الشعر والكتابة والنحو والأدب والقراءات.ذكر ابن الخطيب أن له تأليفًا في الوباء سماه "إصلاح النية في المسلة الطاعونية"[٨١]، إلا أننا لم نهتد لمعرفة ما تضمنه الكتاب.

٣/٥-ابن صفوان المالقي (ت. ٧٦٣هـ):

أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان المالقي مولده سنة ٦٩٥هـ ذكره ابن الخطيب في الإحاطة وأبرز علو كعبه في أنواع العلوم، وخصه بالموسوعية العلمية حين ذكر ضروب العلم التي تفوق فيها كالفرائض والحساب والأدب والتوثيق والتاريخ واللغة والفلسفة والتصوف[٨٢]. رغم أن إنتاجه الفكري المتنوع غلب عليه التصوف شأن "مطلع الأنوار الإلهية" و"بغية المستفيد" إلا أن مؤلفه "كتاب في الطاعون " يبقى أحد أبرز ما كتب في علم الأوبئة. برزت مؤلفات طبية أخرى متأخرة تتحدث عن الوباء بشكل عام إلا أنه لا تخص بالذكر وباء منتصف القرن الثامن الهجري كون هؤلاء المؤلفين من أهل القرن التاسع الهجري.

٣/٦-ابن منظور القيسي (ت. ٨٨٨هـ):

أبو عمرو محمد بن أبي بكر محمد بن منظور القيسي[٨٣] من أشهر بيوتات اشبيلية ومالقة، خطيب وإمام تولى القضاء بمدينتي مالقة وبسطة وقضاء الجماعة بغرناطة. ألف رجزا في أسماء النبي وآخر في النفقات وله فتاوى فيها. خط لنا في أمر الوباء «وصية الناصح الأود في التحفظ من المرض الوافد إذا وفد"؛ حيث تناول في ثلاثة فصول النصوص والأحاديث المتعلقة بالوقاية من الوباء، ومسائل العدوى[٨٤]. يقول في مقدمة ذلك: "فهذه جملة مباركة بفضل الله سبحانه وتعالى سميتها: "وصية الناصح الأود في التحفظ من المرض الوافد إذا وفد نفعنا الله بذلك..."."[٨٥] احتوت هذه المقالة على ثلاثة فصول انقسم بعضها إلى مسائل وبعضها إلى أمور متعلقة بالأذكار والتدبر والاحتياط والتحفظ في الحياة اليومية قبل نزول الداء.

خَاتِمَةٌ

عمومًا ما يمكن أن نخلص إليه في مثل هذه الدراسات ذات الأبعاد الصحية والاجتماعية والفكرية وحتى الديموغرافية أنها قد أتاحت لنا فرصة التعريف بحياة المملكة النصرية في منتصف القرن الثامن الهجري عند حدوث أبرز كارثة جسدت علاقة الإنسان بالطبيعة حيث أثرت بشكل أو بآخر في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. ومن جانب آخر فإن الوباء فعلاً قد أثر في محن ونكبات العديد من العلماء البارزين حتى أننا أحصينا عددًا لا يستهان به من هؤلاء لقوا حتفهم من جراء ذلك.

في المقابل لم تقف الفئة المثقفة مكتوفة الأيدي بل عملت على التحسيس والتفكير في توعية مجتمعاتها المنغمسة في التحديات الاجتماعية والأمنية من خلال إنتاجها الفكري الهادف وسيادة ثقافة التضامن والتكافل الاجتماعي بنزول معظم علماء وزهاد وأدباء وأطباء وفقهاء ذوي البيوتات النبيهة إلى العامة والسعي لمساعدتهم وتدبير أحوالهم. خصت هذه التآليف الطبية أو الرسائل المتعلقة بالطاعون بالدرجة الأولى بلاد الأندلس، إلا أن هذا لا يعني أنه لا يمكن تعميمها على بقية بلاد المغرب الإسلامي، حيث الخصائص الطبيعية والإثنية متشابهة إلى حد كبير وفرص العدوى والانتقال سهلة جد بحكم القرب الجغرافي والحركية السكانية البينية. أخيرًا، يبدو أننا بقراءتنا لهاته المؤلفات أمام أولى الكتب التي أسست لعلم الأوبئة التي كتبت عن الطاعون معاينة، ومثلت أبرز ما ألف في هذه الأمراض الوبائية.

تباينت التآليف الطبية في أمر الوباء ما بين ما هو علمي محض وما هو مجرد نصائح وتذكير بالشرع الديني في مواجهة الأوبئة لا غير شأن ما قام به ابن مشتمل البلياني وابن منظور القيسي. في "وصية الناصح"، وبينما لم نستطع الحكم على الشقوري وهو طبيب حيث بلغنا جزء فقط من الكتاب الجامع" تحقيق النبأ". في مقابل ذلك نجد استخدام منهج علمي عند ابن خاتمة وابن الخطيب حين يقفون على مظاهر انتشار الوباء وسبل حفظ الصحة.

دراسات

الهَوامِشُ:

(١) هو السلطان يوسف بن إسماعيل بن فرج المعروف، تولى الحكم صغير السن (١٥ سنة) بعد مقتل أخيه في ظاهر الجزيرة الخضراء في ٧٣٤هـ، توفي قتيلاً في عيد الفطر (أول شوال) سنة ٧٥٥هـ، وفي رثائه يقول ابن الخطيب: تولى شهيدًا ساجدًا في صلاته ... أصيل التقى رطب اللسان من الذكر

يُنظر: ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح: عبد الله عنان، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٣، ج٤، ص٣١٧، ٣٣٨

- ابن الخطيب، **اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية**، تح: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤٧، ص٩٧.

(٢) عن نسب بني نصر، يُنظر: ابن عبد البر القرطبي، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تح: عادل مرشد، دار الإعلام، ط١، عمان ٢٠٠٢، ص٤٦٩.- ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج٢، ص ٩٣. عنان، نهاية الأندلس، ص٣٩.

(٣) عقد أبو الحجاج يوسف الأول اتفاق سلام مع قشتالة سنة (٧٣٤هـ/١٣٣٤م)، ثم تبعته جملة من الاتفاقيات مع الممالك النصرانية الإسبانية عن فحوى هذه الاتفاقيات وأطرها الزمانية يُنظر: ابن الخطيب، **كناسة الدكان بعد انتقال السكان**، تح: محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٢، ص١٣٢ وما يليها.-

Atallah Dhina, Les états de l'occident musulmans aux XIII ,XIV ,et XV, siècles ,OPU –ENAL, Alger,1984. P292, p392. Rachel Arie, L'Espagne musulmane au temps des nasrides (1232-1492),ed De Boccard ,Paris 1990, p361.

(٤) ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج٤، ص ٣٣٧.

(٥) بتأسيس المدرسة اليوسفية في محرم ٧٥٠هـ / ٢٢ مارس إلى ٢٠ أبريل ١٣٤٩، يُنظر:

Lucien Golvin, Quelques réflexions sur la fondation d'une madrasa a Grenade en 750=1349, Actas XII, congréso de la U.E.A.I, Malaga 1984, Huertaz Madrid 1986, p305.

(٦) ابن منظور، **لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة، د-ت، ص٤٧٥١.

(٧) ابن حجر العسقلاني، **بدل الماعون في فضل الطاعون**، تح: أحمد عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة، ص٢٢ – ابن خاتمة، **تحصيل غرض القاصد نشر ضمن كتاب الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية** لعبد الكريم الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٨، ج٢، ص١٦١.

Biraben Jean Noel et Le Goff Jacques, La peste dans le moyen âge – Annales. Economies, Sociétés, Civilisations, 24 (e) année , n°6-1969, p1485

(٨)الحسين بولقطيب، **جوائح وأوبئة المغرب في عهد الموحدين**، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ٢٠٠٢، ص٢٢. حسن الوزان، **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي، ومحمد الأخضري، ج٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣، ص٦٨.-

Le Goff Autour Carpentier Elisabeth, op cit ,p1492,1493. de la peste noire, Famines et épidémies dans l'histoire du XIV siècle, A. E.S.C, n°17,1962,p 1082.

(٩) الخطابي، المرجع السابق، ج٢، ص١٦١.

(١٠) ابن الخطيب لسان الدين، **مقنعة السائل عن المرض الهائل**، تح: حياة قارة، دار الأمان، الرباط ٢٠١٥.

(11) Renaud, Henri-Paul-Joseph,Un chirurgien musulman du royaume de Grenade Muhammad al-saquri, Hespéris, Institut des hautes études marocaines,T. 33, 1946.

(١٢) محمد حسن، **ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف (٧٤٩هـ/١٣٤٨م)**، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، قرطاج ٢٠١٣.

(13) Millas A. Cristina, Tres opúsculos inéditos sobre la peste en un manuscrito magrebí, Anaquel de Estudios árabes, n°3, 1992.

(١٤) ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومَنْ عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تح: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت ٢٠٠١، ج١، ص٤٢.

(١٥) ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج٣، ص٧٩.

(١٦) ابن حجر، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣، ج١، ص٩ و٤١٩.

(17) Dols Michael Walter , The black death in the middle east , princeston university press,New jersey,1977.

(18) Le Goff , op cit , p1485-Angel garrido, op cit , p 265.

(١٩) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢، ج١٠، ص١٨٤.

(٢٠) عبد العزيز السيد سالم، **تاريخ المرية**، ص١٠٣.

(٢١) ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج١٠، ص ١٥٩.

(٢٢) بلاد الصين في اللسان العجمي، يُنظر: الخطابي، المرجع السابق، ج١، ص١٧٣.

(23) Yves Renouard, Conséquences et intérêt démographiques de La peste noire de 1348 in population, n° 03, 1948, p460 - Jean Favier, Orvieto et la peste noire, journal des savants, 1963, n 04, P.271.

(٢٤) ابن خلدون، المصدر السابق، ج١، ص ٤٢، ٤٣.

(٢٥) ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج١٠، ص١٥٦.

(٢٦) المصدر نفسه، ج١٠، ص١٨٤.

(٢٧) الحسين بولقطيب، **جوائح وأوبئة المغرب في عهد الموحدين**، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٢، ص ٥١ - السيد سالم، **تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٤، ص٩٧.

(٢٨) يبدو أن مدينة المرية اجتاحتها الجائحة أكثر من المدن الأخرى كمالقة مثلاً،

José Angel Tapia Garrido,Historia genéral de Alméria y su provencia, Tomo IV ,Alméria musulmana,Editorial Cajal,Almeria1986, p265.

(29) Angel garrido, op cit, p 265. - Charles Verlinden, La grande peste de 1348 en Espagne, contribution a l'étude de ces conséquences économiques et sociales, revue belge de philologie et d'histoire, tome 17, fasc 1-2, 1938, p 117.

(٣٠) النباهي المالقي، **تاريخ قضاة الأندلس** كتاب **"المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا"**، لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، ط ٥، بيروت ١٩٨٣، ص ١٤٨.

(٣١) ابن ثغري بردي، المصدر السابق، ج١٠، ص ١٥٩ – قارن الخريطة في: Carpentier, op cit , p1063

(٣٢) ابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تح : الهادي التازي أكاديمية المملكة المغربية، الرباط ١٩٩٧ ، ج٤، ص١٧٩.

(٣٣) النباهي، **المرقبة**، ص ١٤٨.

(٣٤) ابن خلدون، المصدر السابق، ج ١، ص٤٢، ٤٣ - Yves Charles V . ,op cit,p 113-Renouard, op cit, p464

(٣٥) كان من آثارها السياسية المباشرة تزايد وتيرة حملات الحروب الصليبية على الإسلامي عمومًا، Yves Renouard , op cit, p464 - السيد سالم، المرجع السابق، ص ١٠٤.

(٣٦) ابن ثغري بردي، المصدر السابق، ج١٠، ص١٥٦.

(37) Yves Renouard, op cit, p461- Lucien Febvre, L'histoire médicale, A.E.S.C, n° 4, 1949, p 102,103.

(٣٨) حول التاريخ الديموغرافي للأندلس وتقديرات السكان، يُنظر: ابن الخطيب، المصدر السابق، ج١، ص١٢٤- ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، س٤، تح: حمزة أحمد عباس، ط١، المجمع الثقافي، أبو ظبي ٢٠٠٢، ص٢٣٠-

La fuenté y Alcantara, Historia de Granada, Editorial Universidad de Granada ,1993, t III, p99- Rachel Arie, l'Espagne musulmane, p 338. Ladero Quesada M.A, Datos demográficos sobre los musulmanes de Granada y castillaen el siglo XV, en anuario de studios médiévales, vol 8, ano 1972-1973;pp481,487. -Rachel Arié, Aperçus sur le royaume de Grenade ,Quaderni di studio arabi ,Casa Editrice Armena, Universita de Veniza ,venezia 1986,p64 -, Torres Balbas, "Extension y démografia de las cuidades hispanomusulmanas", en Studia Islamica, vol 3, ano 1955, p p 35, 59-- Bernard Vincent , op cit , p161,163 .

علي حسين الشطشاط، **نـهاية الوجود العربي في الأندلس**، دار قباء، القاهرة ٢٠٠١، ص٥٧.- عمر عبد السلام تدمري، **"مشاهدات وأخبار عبد الباسط الظاهري في بلاد المغرب والأندلس"**، مجلة التاريخ العربي، ع١٧، ص١١١ وما يليها.

(٣٩) السيد سالم، المرجع السابق، ص ١٠٤.- Charles V, op cit, p 117

(40) María Isabel Calero Secall, La peste en Malaga, según el malagueño al-Nubahi, Homenaje al Prof, Jacinto Bosch Villa, vol 1, 1991, Pp.57-72.

(٤١) ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج٣، ص٢٢٦.

(٤٢) ابن حجر، **الدرر**، ج١، ص٢١٩.

(٤٣) ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج٢، ص٢٦٦.

(٤٤) التمبكتي، **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**، تح: علي عمر، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٤، ج١، ص ٢٠١– ابن القاضي، **درة الحجال في أسماء الرجال**، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، المكتبة العتيقية، ط١، دار النصر للطباعة، ١٩٧٠، ج٣، ص ٢٩٢ - المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب** تح :إحسان عباس دار صادر بيروت ، ١٩٦٨،ج٥، ص٥٤٣.

(٤٥) ابن القاضي، **درة**، ج٣، ص٣٣٠، تر: ١٤٤٦.

(٤٦) ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج٣، ص ١٨٤.

(٤٧) المقري، **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٩، ج٢، ص٣٠١- النباهي، **المرقبة**، ص ١١٤– طاهر توات، **ابن خميس شعره ونثره**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص٤١.

(٤٨) وجد تباين في تاريخ وفاته بين المصادر، يُنظر: ابن الخطيب، **الكتيبة**، ص ٨٨ - وكذا **الإحاطة**، ج٢، ص٤٣٣ – السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر ١٩٧٩، ج١، ص ١٤٣- ابن حجر، **الدرر**، ج٣، ص٤٨٤ - المقري ، **نفح**، ج٦، ص ٢٢٦.

(٤٩) ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج٢، ص١٤٣ - النباهي، **المرقبة**، ص١٦٤.

(٥٠) النباهي، المصدر نفسه، ص١٥٥.

(٥١) نفسه، ص١٥٩.

(٥٢) ابن حجر، الدرر، ج١، ص ١٨٣، ١٨٤، تر: ٤٧٣ - Miguel Jiménez Puertas,

Linajes y poder en la loja islamica, De Los Banu JĀLID a Los Alatares (Siglos VIII-XV), Fundacion IBN AL-JATIB de estudios y cooperacion cultural, P.165.

(٥٣) ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج٤، ص١٤٧– ابن القاضي، **درة**، ج٣، ص٢٣٤، تر١٢٥٤– المقري، **نفح**، ج٥، ص٤٣٤– التمبكتي، نيل، ج١، ص٣٦٧.

(٥٤) ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج٣، ص٢٣٥. التمبكتي، **نيل**، ج٢، ص٢٠٥.

(٥٥) ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج٣، ص٢٣٤.

(٥٦) ابن جلجل، **طبقات الأطباء والحكماء**، تح: فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥، ص٢٢.

(٥٧) يعرف ابن خلدون هذا العلم بأنه علم ينظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد لن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن، يُنظر: ابن خلدون، **المقدمة**، تح: عبد السلام الشدادي، **خزانة ابن خلدون**، ط١، الدار البيضاء ٢٠٠٥، ج٥، ص١٦٢. وقد كان أول كتاب

تأليف في علم الطب لعبد الملك بن حبيب السلمي الإلبيري (٢٣٨هـ)، يُنظر: محمد العربي الخطابي، المرجع السابق، ج١، ص٣٩. وما يليها. ومؤلفه هو **المختصر في الطب**، خط أندلسي واضح، ورقة ١/ب إلى ٤٦/ب، مسطرة: مختلفة، مقاس: ١٩٥ / ١٤٠، مسجل برقم: ١٤٤٢ د.

(٥٨) ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، س٥، ق١، ص ٢٥١،٢٥٢-س٤، ص٢٥ - أحمد الطاهري، **الطب بالأندلس بين الحكمة والتجريب**، ملتقى الدراسات المغربية الأندلسية-تيارات الفكر في المغرب والأندلس الروافد والمعطيات، أبريل ١٩٩٣، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ٥، تطوان، ص ٣٧١،٣٧٠.

(٥٩) بدأت التآليف في مجال الأراجيز عند الأندلسيين بعد أن أسهموا في تراجم المؤلفات اليونانية ومن أبرزهم سعيد بن إبراهيم بن حدير (ت.٣٤٢هـ)، يُنظر: ابن عبد الملك المراكشي، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تح: محمد بنشريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٨٤، س٤، ص٢٥.

(٦٠) كان لسان الدين ابن الخطيب مصابا بالأرق حيث يقول في "الوصول لحفظ الصحة": "...العجب في مرجعي تأليفي لهذا الكتاب الذي لم يؤلف مثله في الطب، لا أقدر على مداواة داء الأرق الذي بي ..." يُنظر: ابن الخطيب، **الوصول لحفظ الصحة والأصول**، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط، خط أندلسي ٢٠٠ ورقة، مسطرة: ١٦ ، مقاس: ٢٣٠ / ١٨٠، مسجل برقم: ٦٥٢ د ، وجه رقم ٣- عبد الكريم أبو شوريب، **مساهمات الطبيب الأندلسي ابن الخطيب في مجال علم دراسة الأوبئة**، أبحاث المؤتمر السنوي العاشر لتاريخ العلوم عند العرب، معهد التراث العلمي العربي، ١٩٨٦ اللاذقية، ص١٦٦.

(٦١) نفسه، ص١٦٩.

(٦٢) الخطابي، المرجع السابق، ج٢، ص١٦١.

-STEPHANE BARRY, NORBERT GUALDE, La peste noire dans l'occident chrétien et musulman 1347-1353, CBMH/BCHM, Volume 25, 2, 2008, p466.

(٦٣) هناك جملة من الأحاديث النبوية يعمل بها المسلمون في حال حدوث الوباء، يُنظر مثلاً: ابن حجر، **بذل الماعون**، ص30 -وعن دورهم في صد الوباء وطرقهم في ذلك يُنظر: Dols, op cit, chapitre4.

(٦٤) ابن خلدون، **المقدمة**، ج٥، ص٣٢.

(٦٥) المقري، **النفح**، ج٥، ص ١٦.

(٦٦) ترجمته في: ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج٤، ص٣٩٠.

(٦٧) ابن الخطيب، **مقنعة السائل**، ص٦.

(٦٨) عن مؤلفاته الطبية يُنظر: أبو شويرب، المرجع السابق، ص١٦٥.

(٦٩) ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج٤، ص٤٥٩.

(٧٠) توجد نسخة منه في مكتبة الاسكوريال تحت رقم: ١٧٨٥، (f39 ٢°)٥، خط أندلسي، ١٨ سطر، بدايته: لما كان على الشيء فرعًا من تصوره وجب لنا أن نبين فرعا من هذا المرض.

(٧١) ابن الخطيب، **مقنعة**، ص٥٩.

(٧٢) ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج١، ص٢٣٩– الكتيبة الكامنة، ٢٣٩. ابن الأحمر، **نثير الجمان فرائد الجمان في نظم فحول الزمان**، تح: محمد رضوان الداية، دار الثقافة، ١٩٦٨، ص ١٥٦– التمبكتي، المصدر السابق، ج١، ص٩٨– ابن القاضي، درة، ج١، ص ٤٠.

(٧٣) ابن خاتمة الأنصاري، **ديوان**، تح: محمد رضوان الداية، دار الفكر (دمشق-بيروت)، ١٩٩٤، ص١١.

(٧٤) توجد نسخة منه بالمكتبة الوطنية بالرباط، خط أندلسي حسن، ق١٦، مصورة عن نسخة الاسكوريال، تحت رقم: د٤٠٥، ميكروفيلم ١٢١٢.

(٧٥) الخطابي، المرجع السابق، ج٢، ص١٦٤.

(٧٦) مخطوطة الاسكوريال، ٤٩ ظ.

(٧٧) ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج٣، ص١٧٧–

Ahmed Mujtar Al-Abbadi, El reino de Granada en la época de Muhammad 5, Vida Social y Cultural, **Revista** del **Instituto** Egipcio de Estudios Islámicos, 5 1957, p163.

(78) Renaud, Henri-Paul-Joseph, Un chirurgien musulman du royaume de Grenade Muhammad al-saquri, Hespéris, Institut des hautes études marocaines,T. 33, 1946, p 31-64 .

(79) Rachel Arie, Etudes sur la civilisation de l'Espagne musulmane, leiden, E.J. Brill,1990, in n°8,chapitre 4 - Rachel Arie, Un opuscule grenadin sur la peste noire de 1348: la Nasiha de Muhammad al-saquri, Boletín de la Asociación Española de orientalistas, N° 3, 1967, P189-199.

(٨٠) نسخة مصورة من مخطوط الاسكوريال تحت رقم ٨/٠٦٧، وا.

(٨١) في الإحاطة وفاته في ٧٦٤هـ، يُنظر للمقارنة: ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج٢، ص ٣٦٤– ابن حجر، **الدرر**، ج٢، ص ٦٢ – السيوطي، **بغية**، ج١، ص٢٢١-ابن القاضي، **درة**، ج٢، ص٧٦، تر: ٥١٩ – التمبكتي، **نيل**، ج٢، ص٤٣.

(٨٢) ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج١، ص٢٢٢.

(٨٣) ترجمته في: البلوي الوادي آشي، ثبت، تح: عبد الله العمراني، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٣، ص٢١٥.

(84) Millas A. Cristina, Tres opúsculos inéditos sobre la peste en un manuscrito magrebí, Anaquel de Estudios árabes ,n°3, 1992 ,p 185,186.

(٨٥) مخطوطة مصورة من خزانة الأستاذ المنوني بالرباط تحت رقم ٤٥٨/١، ضمن مجموع، نسخ علي بن محمد البياضي، وا.